الفصل الخامس

الشعر الكويتي نموذجًا للتواصل ووحدة الجذور التاريخية والثقافية العربية

أ.د / نورية الرومي(*)

إن ثقافة منطقة الخليج والجزيرة العربية هي جزء من ثقافة الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، وقد عبر عنها أدب المنطقة بأقاليمه الخليجية المختلفة . . نثراً وشعراً ، على الرغم من أنها ذات طابع محلى وطني في بعض مناحيه، إذ أن هذه الثقافة قد انقسمت إلى مرحلتين تاريخيتين مهمتين في تاريخ المنطقة هما : ثقافية جيل ما قبل تدفق النفط في الخليج ، إذ كان يعتمد المورد الاقتصادي فيها على مغاصات اللؤلؤ من أعماق البحار وما تدره من ثروات متواضعة ، إلى جانب صيد الأسماك . أما الصحراء فكان موردها الاقتصادي يعتمد على الزراعة في بعض الواحات الزراعية النادرة إلى جانب رعى الأغنام ، أما بعد تدفق النفط في المنطقة فقد صب في أيدي أبنائه ثروات طائلة رفعت من دخل الفرد في المنطقة ، وقد عكس أدب المنطقة هذه الثقافة حيث جسد معاناة البحار الخليجي ، ومعاناة إنسان الصحراء من أجل البقاء في هذه البيئة الصعبة ، إلى جانب خصوصية التقاليد الاجتماعية المسيطرة على أبناء مجتمع الخليج والجزيرة العربية .

وقد تبدل وجه التاريخ في المنطقة بعد تدفق النفط في أراضيها ، فمثل نقطة بدء في تاريخها . إضافة إلى دخول المنطقة في مرحلة التعليم الحكومي المنظم ، والبعثات الخارجية . مما سبب التحامها مع العالم الخارجي . . فدخلت ثقافة المنطقة في عهد جديد . فصور أدبها هذه المتغيرات والانفتاحيات . . عاكساً هم المثقف العربي فيها .

وعلى الرغم من ذلك فإن منطقة الخليج والجزيرة العربية تبقى جزءاً من خريطة الوطن العربي . إذ هي مهد عروبتهم وإسلامهم . . ولهذا ولد الإنسان فيها من عرق عربي إسلامي . . متحداً مع جميع أجزاء الوطن العربي بتقسيماته الجغرافية . . وبالضرورة الملحة

(*) قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت .

فإن أدب منطقة الخليج والجزيرة العربية ينبثق من وعى تاريخي قومي عربي إسلامي . بحيث تتمثل العلاقة فيه بين الجزئي والمطلق ، مشكلة علاقة تداخل، وتلاحم، وليست علاقة تناقض وتنافر ، لان ثمة جذورا عميقة تستوعب أربعة عشر قرنا حين أدرك العرب شخصيتهم المتميزة على أثر ظهور الإسلام ، فكان أصل شعورهم القومي ، الذي كان كامنا في نفوس القبائل العربية ، وهو ما عرف فيما بعد ـ بالشعور القومي . ولقد ظل المفهوم القومي العربي مرتبطا بالإسلام لقرون عديدة ، بل انه ما يزال حتى الآن ماثلا في أذهان الكثير من العرب.

وفى ظل الأحداث السياسية المتتابعة ، وتكالب الغرب على البلاد العربية غلب المزج بين الدين والقومية في الشعر العربي الحديث ، حتى أوائل القرن العشرين وإلحادي والعشرين. وظل هذا المعين يسيطر على إبداع الشعراء العرب عامة.

ولا شك في أن الروح القومية أخذت تتسارع في السريان ، في الشعر والنثر ، ذلك لأن القضية واحدة ، كما أن الآلام والآمال والمصائر بين الشعوب العربية الفت بين قلوب العرب جميعاً ، فكان مؤتمر أدباء العرب ، الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٥٨م، والذي كانت أبحاثه مقتصرة على الأدب والقومية العربية ، بفضل المد القومي في فترة حكم جمال عبد الناصر ، الذي جعل من الفكرة القومية منبرا يقف أمامه العرب جميعاً ، اعتلاه الشعراء المعاصرون بصورة لا مثيل لها من قبل .

إن التاريخ العربي الحافل ، يعد قاسماً مشتركاً بين العرب جميعاً ، جمع مشاعرهم في مختلف الأقطار ، حيث واجهوا مصيراً مشتركاً ، كما أن أدوار الهبوط والازدهار كانت تتضمنهم في فترات واحدة ، فحين وقعت البلاد تحت وطأة الحكم العثماني وقعت دفعة واحدة ، وحين انحسر عنها هذا الكابوس تحولت إلى فريسة للاستعمار ، وعندما بدأ المد القومي ، أنشأ وعيا جديداً ونهضة جديدة ، دفع الأمة كلها إلي النضال من اجل التحرر والاستقلال.

ولقد كان للأدب والشعر بوجه خاص اثر فاعل في الارتباط بماضي الأمة وإحياء تراثها، ولعلنا نلحظ أن هذه الظاهرة الطبيعية في آداب الأمم كلها تدخل إلى مرحلة الصحوة أو البعث . فقد صاغ الشعراء في قرائحهم صوراً للأبطال في قصائد الشعر .

وقد جسد الشعر في الكويت ذلك كله في وقت مبكر جداً ، عند الشعراء الذين مثلوا جيل الرواد ، والذين عدوا بهذه الأشعار من رواد التنوير في الكويت، بل في منطقة الخليج والجزيرة العربية متوحدين في هذه الأشعار حول البطل الرمز، الفارس المخلص للقومية العربية الإسلامية .

إن صورة البطل في الأساطير القديمة كانت تمثل القوة الخارقة التي تظل تمتد بحركتها لتحقق الأمل المنشود ، وعلى هذا كان البطل هو المنقذ ، هو الملاذ ، ويظل هذا شأن الأمة العربية في ضعفها المتواتر حتى يظهر البطل ليلم شتات الأمة العربية المتفرق ، يقول الشاعر (أحمد السقاف)

في قصيدته : " أم الرصاص "[1] :

لا يصنع النصر إلا قائد بطل ... يقود جيشاً يهز الأرض إن وثبا
هو المرجى لفجر نحن نرقبه ... فقد تمزق هذا الجيل واكتأبا
يرى بعينيه أشتاتاً ملفقة ... تشيع في أرضه التنكيل والرهبا

ويؤكد الشاعر (عبد الله العتيبي) ما أسلفناه بقصيدته التي بعنوان : " موقعة ذي قار " إذ أنه يستلهم بطولة الماضي من تاريخ العرب المزهر ، ويقتبس من " موقعة ذى قار " التاريخية إلهاماته في حلمه المشرق لحاضر الوطن العربي . يقول العتيبى مخاطبا " بغداد " في قصيدة بعنوان :

" من تداعيات أبى بصير الأعشى "[2] :

إن الفرات إذا جاشت غواربه ... فألفُ أرض من الطوفان ترتجف
إني لأبصر في بغداد ألوية ... تخضر شوقاً لها فرسان من سلفوا
إني لأسمع في الأصداء جلجلة ... أحقاد (ذي قار) يطفى نارها الخلف
إني لألمح في الآفاق ثانية ... أحلام كسري مع (الأيوان) تنقصف

ويكمل (عبد الله حسين الرومي) رؤية الشاعر (عبد الله العتيبى) في حلم نهوض الشعب العربي من فرقته وتحقيق عزته في وحدة عربية فثار لماضيها وحاضرها في قصيدته التي ينقلها فيها إلي أجواء القومية ، وكأنها متلازمة مع حسه الوطني في الكويت . يقول في قصيدته التي بعنوان (عيد)[3] :

يا شعب لست على شك يخالجنى ... وهل يداخلنى في أمتى ريب؟
لكنه الألم المكبوت ساورني ... وتاه في ظلمات الوضع مضطرب

(١) أحمد السقاف : المجموعة الشعرية ، ص ١٧ ؟؟ .
(٢) عبد الله العتيبى : ديوان " مزار الحلم " من تداعيات أبى بصير الأعشى " ، ص ١٠٥ ، ط (١) ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت .
(٣) راجع : نوريه الرومى : الخطاب القومي في شعر عبد الله حسين – دراسة نصية . مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى – جامعة صنعاء ، العدد ٦٥ إبريل – يونيو ، ٢٠٠٢ ، الجمهورية اليمنية .

فـإن تـساءلت عـن عيـد نقـر بـه عينا ، وتنجاب عـن آفاقـه السحب
فإنـه يـوم أن تـسعى مواكبنـا وحـين تثـأر مـن جلادهـا العـرب

إنه ينتقل في خطابه من الشعب (الوطن) إلى الأمـة (القوميـة) ، وهـى مراوحـة تـدل على التلازم بين الوطن والقومية ، ومن خلال أشياء مـشتركة : الألم المكبـوت / ظلمـات الوضع / السحب / جلادها ، إنها تمثل الوضع العام الذي يعيشه العرب بتفاؤل قـد يحقـق للشاعر حلمه العربي ، ولكن الـشاعر فهـد العـسكر بـشكواه المريـرة في اكثـر مـن قـصيدة بديوانه ، ينظر إلى الواقع العربي والى مستقبله نظرة تشاؤمية بقصيدة طويلة نختار منها خطابه الموجه إلى رسول الله ﷺ بقوله[٤] :

قـم يـا رسـول الله كـى نشكو إليك فمن سواك نبثـه شكوانا
قـم يـا رسـول الله وانظـر هـل تـرى إلا شعوبـا تعبـد الأوثانـا
قـم وانظـر الـدين الحنيـف وأهلـه أعـزز وأكبـر أن تـراه مهانـا
قـم واهـدنا واعمـر خـراب قلوبنـا أنـا نبذنـا الديـن والقرآنـا
أنـا نـسينا حتـى سـلط البـ ـاري علينـا يـا نبـى عـدانـا

ويعلل فهد العسكر أسباب هذا الواقع المرير للعرب بقوله :

يـا نـشء عرقلـت العمائـم سـيرنا والـدين أضـحى سلمـا للجانـى
بـا نـشء وا أسفـا علـى ديـن غـدا أحبـولة للأصـفر الرنـان
فجرائـم العلمـاء وهـى كثيـرة تنمـو بظـل الـصفح والغفـران
كيـف النهـوض بأمـة بلهـاء لا تنفـك عاكفـة علـى الأوثـان
هيـهات نبنـى مـا بنـاه جـدودنا وننـال في هـذى الحيـاة أمـاني
وشـريعة الهـادي غـدت واحـسرتا في عالـم الإهمـال والنـسيان
نرجـو الـسعادة في الحيـاة ولم ننفـ ـذ في الحيـاة أوامـر القـرآن
بالـدين قـد نـال الجـدود مناهـم وغـدوا وربـى ، بهجـة الأزمـان
فتحـوا الفتـوح ومهـدوا طـرق العـلا واستـسلم القاصـى لهـم والدانـى

(٤) الديوان : مناجاة عيد المولد " بسمة ودمعة أو صـرخة مـن أعمـاق الـسجون " ص ١٤٣ – ١٤٥ ، وانظـر أيـضا تحليـل القصيدة كاملة ، وقصائد أخرى للشاعر فهد العسكر عند : " نوريه الرومى " : شعر فهد العسكر دراسة نقدية وتحليلية، ص ٢٨٢ وما بعدها ، ط (٢) ، بيروت : ١٩٩٩ .

ويقول أيضا في قصيدة " مناجاة عيد المولود " نختار منها[٥] :

يـا عيـد إن نـشكو إليـك فإنمـا نـشكو إلى مـن جـاءنـا فهـدانا
العالـم العربـي يرنـو حائـراً قلقـا ، إلى مـن أوقـدوا النيرانـا
ويـلاه . . قـد جهـل المـصير فواسـه يا عيـد . . وامسح دمعـه الهتانـا

إنه لا يتحدث إقليميا ، بل يتحدث قومياً لدى خطاب العالم العربي ، ممثلاً في قيادة " من جاءنا فهدانا " وكأنما يشير إلى أننا ـ الآن ـ في حاجة إلي قيادة تجمعنا على رأى رجل واحد ، لأننا أمة وسط شهداء على الناس ، وهل يليق بهؤلاء أن يفقدوا هذه الوسطية إنه يقول :

حدثه . . قد طاب الحديث عن الألي فعسى تثير بنفسه البركانا
كانوا على وجه البسيطة سادة أبداً ، وكنا بعدهم عبدانا
عبث الفساد بنا ، فبعثر ملكنا والجهل شتت شملنا فكفانا

إن الشعور القومي لدى الشاعر " فهد " كان فياضاً ، يتجلى في كل الشعر القومي الذي كتبه .

إن الشاعر يدعو للاستنارة إقليميا ، كما يشخص داء التخلف القومي الذي يوجب هذه الدعوى مشروعه التنويري فيقول :

أفراد يعرب والعروبة تشتكى هلا شفيتم قلبها الحرانا؟
هى تستجير بكم فقوموا واقسموا يا قوم . . ألا تغمضوا الأجفانا
واستمسكوا بالعروة الوثقى وكونوا صادقين عقيدة ولسانا
كل الشعوب تقدمت وتحررت أيروقكم سجن الحياة مكانا

إنه يدعوهم في مشروعه التنويري إلى التمسك بالعروة الوثقى ، والتمسك بالعروبة والقومية العربية ، وبذلك كله يتحقق الأمل المنشود في النهوض والتقدم والتحرر والسيادة ، إنها دعوة الشاعر التنويرية في نهضة الوطن العربي ، وأمله معلق على جيل المستقبل لهذا وجه خطابه إلي النشء الجديد لأنه يرى أن الشباب أمل البلاد في النهضة ، بل انهم لا بد أن يكونوا دعاة التنوير وحملة لوائه يقول :

يا نشء . . أمة يعرب عقدت عليك رجاءها ، قم قدم القربانا

(٥) المرجع السابق نفسه .

يا نشء . . يا أمل البلاد وسؤلها أقسم على ألا تطيق هوانا
اقسم لها أن لا تنام وأن تظل على الولاء لها وأن تتفانى

إنه يرفض المتخاذلين ، تجار السياسة ، الذين يبيعون مبادئهم وبالتالي يبيعون أوطانهم :

أقسم على أن لا يعيش بأرضها من باع مبدأه ، وشذ ، وخانا
أقسم إذا ما الخصم حاول أن يهـ ـاجمها على ألا تكون جبانا
أقسم لها يا نشء إن نادى المنادى للوغى أن تلبس الأكفانا
وأعد سعادتها إليها أيها النشء الجديد وأعطها ، البرهانا
فالله نعم العون جل جلاله إن تعدم الأنصار والأعوانا

لم يكن " فهد " ليستطيع أن يوغل في مجال السياسة أكثر مما أشار به في شعره ، إشارات موحية ، تحمل جمال الفن ، وحلاوة التعبير ، وحسن الأداء . وقد وقف فهد العسكر عند الفساد الإداري بأشكال متعددة :

عبث الفساد بنا فبعثر ملكنا والجهل شتت شملنا فكفانا

وقد شغلت الشاعر فهد العسكر القضايا القومية ، والوحدة العربية وقضايا الحرية عندما نبذ التناحر بين القادة العرب والمسلمين . مما كشف شعره بوضوح عن اتجاهه العربي القومي فشعره القومي يشهد له بأن طالما أرسله صيحات مدوية صاخبة راثياً به موت الروح في نفوس زعماء العرب وتخاذلهم هذا التخاذل الذي جر على جميع أبناء الأمة العربية الويلات والمصائب بسبب انعدام العدالة والمساواة وضياع الحقوق وموت الحريات فيقول الشاعر[٦] :

يا بنى العرب والكوارث تترى أوقفوا سيرها وصونوا البقية
يا بنى الفاتحين إنا بعصر لا مساواة فيه لا مدنيه
لا إخاء كما ادعوا لا حقوق لضعيف عان ولا حرية

ويستلهم الشاعر التاريخ العربي والإسلامي ليستحضره على حاضر الواقع القومي العربي فيقول في نص يستعيد فيه الماضي الذهبي كجزء من آفاق التنوير المعاصرة (إن

(٦) الديوان " عيد المولد النبوي الشريف " ١٢٩ ـ ١٣٣ تحليل القصيدة كاملة ، نوريه الرومي : شعر فهد العسكر دراسة نقدية وتحليلية : الفصل الثاني : الشكوى والبحث عن خلاص .

الأصالة والمعاصرة) أو معادلة التنوير العربية التى نادى بها رواد التنوير والإصلاح في العالم العربي يستعيدها فهد العسكر في بكائه وندبه للقومية في قوله :

قم معي نبك مجدنا ونسح الدمع حزناً ونندب القومية
قم معي نسأل الطلول عساها تشف بالرد غلة روحية

عن نبى العرب يوم سادوا او شادوا مجدهم بالسيوف والسمهرية
وعن ابن الخطاب من حكمه العدل وسعد بوقعة القادسية

أبناء عدنان وغسان وما ناديت غير الصيد والشجعان
الصامدون إذا الصفوف تلاحمت وتصادم الفرسان بالفرسان
والضاحكون إذا الأسنة والظبا هتكت ظلام النقع باللمعان
والهاتفون إذا الدماء تدفقت أعنى دما الأبطال بالميدان
وإذا الصوارم والقنا يوم الوغى ذرفت على الشهداء دمعاً قانى

ويستنهض همم الشعب الفلسطينى ويحثهم على الثورة ضد الاستعمار ، " وعد بلفور" واستيطان اليهود في فلسطين يقول :

آن الأوان وقيتموا كيد العدا والخصم بالمرصاد كالثعبان
ثوروا وردوا كيده في نحره وذيوله لا عاش كل جبان
ثوروا بوجه الناكثين عهودكم الغاشمين . كثورة البركان
ما كان بالحسبان أن يهبوا اليه ـ ـود بلادنا ما كان بالحسبان
لتبرهنوا أن النفوس أبية وليرجعوا بالذل والخذلان

والقصيدة طويلة يناقش فيها الشاعر بوعي الإنسان العربي الذي يدعو إلى تنوير الوطن العربي كله ، بتخليصه من مسببات الذل ، والانكسار والانهزام ، والتقهقر لأنه فاقد الثقة بالزعامات العربية ، ولهذا يوجه خطابه إلى النشء الجديد ، لأنه أمل التنوير لمستقبل الوطن العربي .

ومجمل القول أن فهد العسكر ـ في نطاق ثقافته التقليدية المحدودة ـ كان يمتلك رؤية للعالم . . رؤية قوامها النهوض بالكويت من كبوة العادات والتقاليد البالية ، إذا شاءت أن تشق طريقها نحو الحداثة والتطوير . . رؤية قوامها التمرد ورفض الواقع ، رؤية قوامها

البحث عن الإصلاح التعليمي والتربوي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وتحرير المرأة، والانفتاح على الآخر رؤية أخرى اعمق . . إنها رؤية عربية .

أننا عندما نضع هذه الأشعار التنويرية تحت عنوان " التمرد " تكون قد تجاوزنا حدود الفكر المعتاد ، لأن التمرد يحمل في طياته جانبين : جانب الرفض ثم جانب التحرك لجعل هذا الرفض واقعاً من أجل التغيير . إن تأثر شعراء الكويت بالحركات الإصلاحية في الوطن العربي دفعهم إلى المطالبة بالإصلاحات السياسية في عام ١٩٢١ م حيث طالبوا بإنشاء مجلس للشورى ، ورغم قصر عمر المجلس إلا أنه نجح في إصلاح القضاء ، وجعل أحكامه قائمة على مجلة الأحكام العدلية ، كما نجح المجلس في وضع نظام لولاية العهد" . إن ثمة تشابكاً بين فكر النهضة وفكر التنوير ، فالنهضة التى بدأتها الكويت بعد البترول صاحبها ـ دون شك ـ دعوة للتنوير ، لأن المراحل بين النهضة والتنوير مراحل متشابكة وليست متلاحقة .

إن التنوير دعوة إلى النهضة ، التي تتحدد معالمها بتوجيه المجتمع من خلال أبنائه الذين يمثلون المستقبل ، مستقبل النهضة المرتقبة ، التي تقوم على الوعي والثقافة حتى لو تعرض لبدايتها التجار وأصحاب رءوس الأموال .

إن الشاعر (فهد العسكر) يتطلع ـ في نظرة طامحة ـ إلى النشء ، الذي سيربط الوطن الكويت بالنهضة العالمية والتطلع إلي الغرب هنا باعتباره نموذجاً للتنوير . . العسكر ينتهض همم الشباب في شعره ويتمنى للأمة نهضة تحقق آمالها ، وتبنى مجدها الجديد بشجاعة أبنائها وهممهم ، وهذا معنى يلح عليه في قصائده المختلفة .

ثم إنه يربط الأمل المرتجى بمعوقات النهضة ، وفى رأيه أن من هذه المعوقات الممارسات الدينية الجامدة ، والوقوف السلفي أمام النصوص يقول :

يا نشء . . عرقلت العمائم والدين أضحى سلماً للجانى
يا نشء . . وا أسفاً على دين أحبولة للأصفر الرنان
فجرائم العلماء ـ وهى كثيرة تنمو بظل الصفح والغفران
كيف النهوض بأمة بلهاء لا تنفك عاكفة على (الأوثان)

وواضح من الأبيات السابقة أن الشاعر فهد العسكر كان أول من فضح المتاجرين بالدين في الكويت ، وذلك في فترة مبكرة قبل أن تستفحل هذه الظاهرة في مجتمعنا والطريف أنه كان يخاطب النشء باعتباره جيل المستقبل دلالة على أن أمل مشروعه التنويري سوف يتحقق بجيل الغد (المستقبل) وليس بجيل حاضره .

إنه كان يعتبر قضية التعليم قضية تنوير في المقام الأول ، فالتعليم مدخل لإنضاج العقول وتربية الأخلاق وهو لهذا جدير بأن يحظى بالاهتمام البالغ فيقول :

زهت المدارسُ وانثنى طلابها ... لقدومكم يتبادلون تهانى

لا غرو فالطلاب قد عشقوا بكم ... صدق الوفا وطهارة الوجدان

والعطف والميل البريء ولا غرا ... بة فالمعلم والدٌ متفان

شكت الأوام نفوسهم فتذوقت ... تلك النفوس حلاوة الإيمان

ويؤمن فهد العسكر أن رسالة التعليم تمتد إلى الثقافة لأنها تفتح الآفاق أمام انغلاق العقول يقول :

وأمام مصباح الثقافة قد تلاشت ظلمة الأفكار والأذهان

وغرستموا بحدائق الأرواح كل حميدة والروح كالبستان

فالمرء بالعقل المنير ، وإن دجا ... ما الفرق بين المرء والحيوان؟

ويلح فهد العسكر على تنوير الشباب الذين هم عدة المستقبل وهم الأمل في حمل مشاعر الحرية والحضارة والتغيير يقول :

إن الشباب إذا زكت أخلاقه والنفس طهرها من الأدران

هو في البلاد ، ولا إخالك جاهلاً ... بمثابة الأرواح بالأبدان

هو قلبها الخفاق والركن القويم وسورها الحامي من العدوان

والنهضة التعليمية ـ في رأى الشاعر ـ نهضة موسوعية ، ولهذا نراه في قصيدته يتحدث عن التاريخ القديم ، لأنه لا نهضة دون وعى بهذا التاريخ يقول : ـ

بالدين قد نال الجدود مناهم ... وغدوا ـ وربى ـ بهجة الأزمان

فتحوا الفتوح ، ومهدوا طرق العلا ... واستسلم القاصي لهم والداني

طردوا هرقل، فراح يندب ملكه ... وقضوا على كسرى أنو شروان

وتنسحب الفكرة مع صفحات التاريخ التي ينبغي أن تكون نبراسا يهتدي به الشباب في طريق التنوير، وينعى على الأمة العربية ـ بعد أن استعرض هذا المجد المؤثل ـ ينعى حاضرنا فيقول :

واليوم أين حضارة العرب التي ... أنوارها سطعت على الأكوان

وإن الأمة العربية لابد أن تدرك رسالتها التنويرية على أجزاء الوطن كله ، ولا بد لها

أن تدرس الحياة بعمق ، وتتفهم الأوضاع تفهما واعيا حتى تنهض حياتها في ظل حرية صادقة تحقق الخير والجمال . هل يمكن لإنسان يعيش في إقليمية ضيقة أن يحدث تنويرا في نفسه ، وفى الآخرين ؟

إن الفضيلة لا تظهر إلا من خلال الإنسانية الصادقة ، لأن هذه الإنسانية هي التي تنشر الثقافة ، وترتقى بالأخلاق يقول الشاعر فهد[٧] .

بابني الفاتحين حتام نبقى في ركود، أين النفوس الأبية؟
غيرنا حقق الأماني وبتنا لم نحقق لنا ولا أمنيه
فمن الغبن أن نعيش عبيدا أين ذاك الإباء؟ أين الحميه ؟

إن تاريخ الكويت يرتبط ارتباطا وثيقا بحركة التاريخ في الوطن العربي، ومن ثم فإن شاعرنا فهدا يطلب دائماً أن ننظر إلي التقاليد التى أدت إلى تأخرنا نظرة رافضة ، ونصور النهضة الحديثة بحقيقتها ، من خلال شعراء صادقين ، وكتاب يتحلون بصدق الرؤية . يقول مخاطبا " مى " الرمز الواضح لوطنه :

ويلخص معاناته فيقول :

لا تحسبي يا مي أن يدي مغلولة، غلت يد الأشرر
فالحر من جور الزمان هنا وهناك بين الناب الظفر
حسناء هاك وحطمي قدحي فالكأس قد دارت على البقر
لا تعجبي مما صدعت به فالنار لا تخلو من الشرر
حسناء والأجفان قد ثقلت هاتى الدواء وكحلي بصري

إنها أحاسيس مرهفة نحو مجتمع الشاعر، الملئ بالمتناقضات والمفارقات. ولكن فهد العسكر ـ في نطاق ثقافته المحدودة ورؤيته الشعرية ـ ما كان بمقدوره أن يقدم مشروعاً تنويرياً متكاملاً، بالمعنى الفكري أو الإيديولوجي أو الفلسفي ، ولكن حسبه ـ بحدس الشاعر الصادق ـ أنه قدم واعياً أو لا واعياً ـ بالمعنى الإبستمولوجي ـ مشروعاً إصلاحياً ، يعد بكل المقاييس التي تحكم المجتمع الكويتي والعربي آنذاك، مشروعاً أو نواة لمشروع تنويري.

وكان الأمل العربي معقوداً على الزعيم " جمال عبد الناصر " الذي توسمت فيه جموع

(٧) الديوان : المرجع السابق . تحليل القصيدة كاملة : نوريه الرومي : شعر فهد العسكر دراسة نقدية وتحليلية ، الفصل الثاني: الشكوى والبحث عن خلاص .

الأمة صورة البطل المنقذ ولكنه الموت الذي اختطف الحلم العربي بموت الزعيم جمال عبدالناصر فجسدت الشاعرة (سعاد الصباح) ما آل إليه الوضع العربي بعد وفاته في قصيدة طويلة عنونت لها بعنوان (من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر) فقالت[٨] :

كنا كباراً معه في كتب الزمان
كنا خيولاً تشعل الآفاق عنفوان
كان هو النسر الخرافي الذي يشيلنا
على جناحيه إلى شواطئ الآمان
يا ناصر العظيم

* * * * * *

لا تسأل عن الأعراب
فإنهم قد أتقنوا صناعة السباب
وواصلوا الحوار بالظفر والأنياب
وحاصروا شعوبهم بالنار والحراب
يا ناصر العظيم
سامحني .. فما لدى ما أقوله
في زمن الخراب

وجاء الشاعر خالد الفرج مصوراً ، الهم العربي باكياً حال أبنائه الذين استضعفهم الاستعمار ، واستخفهم الفخر بالماضي ، مجسداً تخاذل الزعامات العربية كلها والغرقة المسيطرة على القيادات العربية ، فيقول من قصيدة بعنوان (أنا شاعر)[٩] :

أنا شاعر لكن ببؤس بلادي أفؤادكم يا قوم مثل فؤادي
يا قوم هل من ناظر فأريه ما فيها وهل من سامع فأنادى
زعماؤنا متخاذلون لجهلهم والكل للثاني من الأضداد

(٨) سعاد الصباح : كتاب سعاد الصباح شاعرة شتائية في الحب والغضب، إسماعيل مروه، ط (١)، ص ٢٠٠ ، شركة النور، بيروت : ٢٠٠٠م.

(٩) راجع : نوريه الرومي : الحركة الشعرية فى الخليج العربي بين التقليد والتطور . الباب الأول ، الفصل الثاني ، المديح السياسي ، ص ٧٤ – ٨٤ ، ط (٣) بيروت : ١٩٩٩م.

وقد أحس الشاعر محمود شوقي الأيوبي إحساسا عميقاً بمأساة العالم العربي ، لذا فإنه قد جسد هذا الإحساس في معظم القصائد التي نظمها في الوطنية والقومية ، ونستطيع أن نستخلص منها ، أنه يرى مأساة العالم العربي في خضوعه للاستعمار الغربي من ناحية ، وجهله وتخلفه الحضاري من ناحية أخرى ، وهى نفس المعاني التي اعتمد عليها خالد الفرج في قصائده السياسية . في وقت مبكر جداً ، معهما فهد العسكر وصقر الشبيب وغيرهما من الشعراء الأوائل في الحركة الشعرية في الكويت بل في الخليج العربي ، وقد صور هذا الإحساس في قصيدة له بعنوان " الشهداء " قالها على إثر حادثة البراق في القدس سنة ١٩٢٩م يقول فيها[١٠] :

ناح الهزار ! . . . فلا آس وريحان ... ولا ظلال وغيث الدمع هتان
سمعا لباكية أذكت مناحتها ... نار الحماس ، وطرف الهول يقظان

. . . . . .

على المنابر تتلى كل مرثية ... لها من الروح أنغام وألحان
وفى ربوع بنى عدنان ما برحت ... تهيج قوماً هم في الحرب فرسان
لا يبتغون من الدنيا وزخرفها ... إلا تراثاً دهاه اليوم طغيان
قاموا ملبين صوت الحق فاندلعت ... عليهم من ذوى الأطماع نيران
يا ويحكم يا (بنى سكسون) إنكم ... غدرتم ولكم للغدر أعوان

. . . . . .

في (مصر) أحكمتم الأغلال خانقة ... وفى (العراق) أحابيل وأشجان
وفى (الترنسفال) و(الهند) الكئيبة كم ... نفذتم حكمكم والظلم ربان
لكم أياد على (السودان) منكرة ... وفى (الخليج) من استعماركم شان
في (حضرموت) أساليب وفى (عدن) ... وفى (عمان) لكم للختل غيلان
ومحكم القيد في (البحرين) صار له ... في دفتر الرق سواس وكهان

(١٠) محمود شوقي الأيوبي : الحان الثورة . الشهداء ، ص ١٩٨ – ٢١٣ . رابطة الأدب الحديث القاهرة، ط ؟، ١٩٥٥م، والواقع أن قصائد هذا الديوان قصائد ثائرة، تعكس بصورة واضحة وضع الأمة العربية، وتصور كفاح أبنائها، وقد أهدى الشاعر هذا الديوان إلى : ((إلى رأس العروبة الأشد ومحررها الثائر المجاهد العظيم السيد الرئيس : " جمال عبد الناصر " أهدى هذا الديوان. من ثورة العروبة الكريمة القوية الموفقة ألهمت هذا الديوان الخامس (ألحان الثورة)). راجع : نوريه الرومي ـ محمود شوقي الأيوبي ـ حياته وشعره : عرض ونقد، ص ٣٢٠ وما بعدها، ط (٢) بيروت: ١٩٩٩م.

وفـى فلـسطين مـن (بلفـور) مهزلـة ... هزت لهـا مـن خمـار الحقـد أذقـان

. . . . . .

أذكيـتم فتنـة عميـاء ساحقـة ... دكـت لها مـن قـلاع الـسلم أركـان

. . . . . .

هـذى فرنـسا (بـسوريا) الأبيـة قـد ... سـرى لهـا بحديـث الفتـك ركبـان

. . . . . .

إن (الجزائـر) مـا زالـت مروعـة ... فوردهـا آجـن والـشعب حيـران

. . . . . .

وفـى (طـرابلس) للإرهـاق منتجـع ... غراسـه شـره يحميـه (طليـان)

مـاذا جنـى البطـل (الريفـي) يـوم دعـا ... قومـاً هـم في ديـار الغـرب (أسـبان)

في كـل يـوم لكـم في الـشرق مجـزرة ... يـشيب منهـا صبيـات وصبيـان

ومن الواضح أن الشاعر قد اتخذ من هذه المناسبة طريقا إلى رصد مواقف الاستعمار الغربي مع الشعوب العربية في أقطارها المختلفة ، وقد حظى الاستعمار البريطاني بأكثر أبيات القصيدة ، لأنها كانت تستعمر كثيرا من البلدان العربية ، مما جعلها هدفا لحديثه عن مأساة هذه الأمة مع الاستعمار .

وقد ألقى هذا الإحساس عند الشاعر محمود شوقي الأيوبي بمأساة العالم العربي مع الاستعمار بطلاله على انفعاله بصراع الأمة العربية مع الاستعمار الغربي ، فقد اخذ يمجد الثورات العربية في شتى الأقطار ، فتحدث عن ثورة العراق ، وثورة اليمن ، والبحرين وسوريا ، والجزائر ، وفلسطين ، ومصر ، وقد ظفرت مصر بالنصيب الأكبر من أشعاره لدرجة جعلته يتابع أحداث هذه الثورة في صراعها مع الاستعمار الغربي ، متابعة لم يكد يغيب عنه فيها حدث واحد ، كما اخذ يردد معاني بعينها ، هي معاني الثورة المدمرة التي غالبا ما كان يطلق عليها اسم الثورة الحمراء ، أو الخضراء ، يريد بها الثورة المدمرة لقوى الاستعمار ، والمؤدية إلى خير الوطن العربي ، وخلاصه من الظلم والتخلف الذي يرزح تحتيهما .

ولعل خير قصيدة تجسد انفعاله بصراع الأمة العربية مع الاستعمار قصيدته " الثائر العظيم " ، وقد انطلق فيها من إيمانه بجمال عبد الناصر ثائرا قوميا ووطنيا ، كان يرى فيه مخلصا للعرب من الاستعمار والتخلف ، مستوحيا في ذلك مواقفه وصراعه مع الاستعمار

البريطاني في مصر من ناحية ، ومعه ومع الاستعمار الغربي في سائر البلدان العربية والأفريقية من ناحية أخرى ، وفى اختصار كان يرى فيه مشعلا لثورة تحرير كبرى تحرق الاستعمار الغربي حرقا ، وتضئ ظلام العالم العربي لتعتقه من الظلم والعبودية إلى الحرية والانطلاق فيقول لجمال عبد الناصر[١١] :

" لجمال عبد الناصر " المتوثب ... تهفو القلوب بمشرق أو مغرب
بطل البطولات العظيمة حوله ... يلتف كل مجاهد حر أبى
سكب الخلود بذكره أنفاسه ... شعراً من الغيب الجميل الطيب
ورنا الزمان مرخماً أنغامه ... للخالدين بنشوة لم تنضب
وانهارت الظلمات بعد حلولها ... دهرا عن الوطن الكبير الأرحب
المارد الجبار هب مزمجراً ... يهوى بقبضته على المتألب
و(الثورة الحمراء) أج أجيجها ... تشوى الوجوه بجمرها المتلهب
بك يا(جمال) الغاصبون تقوضت ... أبراجهم يوم الكفاح المرعب
ناديت في (مصر) العزيزة أمة ... في مهيع النكبات لم تتهيب
ومضت إلى النيران واسعة الخطى ... تشدو سريعاً بالنشيد الأعذب

. . . . . .

عوفيت يا فخر العروبة كلنا ... جند بأحداث الردى لم يغلب
فلقد رفعت رؤوسنا في ساحة الـ ... ـحرية الحمراء) دون تهيب
في كل قلب من صنيعك ثورة ... للحق لم تهدأ ولم تتنكب
ولقد وقفت مع (القناة) محرراً ... أمجادها من كل قيد أجنبي

. . . . . .

العرب قومك يا (جمال) وكلهم ... في كل قطر ثورة لم تغلب
يا أيها الرأس الأشد ازحف بنا ... للمجد للوطن السليب الأقرب
فلصوت روحك نشوة بنفوسنا ... تنثال كالغيث الهتون الصيب
لا حلف إلا حلف أمتنا ولا اس ... ـتعمار للمستعمر المتحزب

(١١) محمود شوقي الأيوبي . ديوان " ألحان الثورة " : الثائر العظيم، من ص ٤١ـ ٤٩ . وراجع تحليل هذا الاتجاه عند الشاعر : نوريه الرومي ـ محمود شوقي الأيوبي حياته وشعره : عرض ونقد ـ ص ٣٢٢ وما بعدها، ط (٢) بيروت : ١٩٩٩م.

سـنخوض معركـة الحيـاة بعزمنـا والنـصر للمتحفـز المـتدرب
سـنخلد الـسلم الحبيـب علـى الـدنا بكفاحنـا ونغيـث كـل معـذب
مـزق جنـود الـشر كـل ممـزق يـا أيهـا العربـي أقـدم واضـرب
وابعث صـواريخ العـذاب علـى العـدا واجعـل بنانـك في الزنـاد وصـوب
إلحـق مغاويـر العـروبة رافعـاً علـم الجهـاد (بيـور سـعيد) وجـرب
. . . . . .
قـل : (يـا جمـال) زمامنـا بيـديك سـر إنـا وراءك للجهـاد ، فوثـب

ولا تحتاج هذه القصيدة إلي التعليق في شئ ، فغاية الشاعر فيها واضحة هى أنه يتخذ من ثورة مصر بزعامة جمال عبد الناصر ، رمزا على ثورة العالم العربي على الاستعمار الغربي ، وبذلك يصبح العالم العربي في مأساته مع الاستعمار جسدا واحدا لا ينفصل جزء منه عن جزء ، وهو معنى نراه يتكرر كثيرا في قصائده التي حيا فيها ثورات الشعوب العربية المختلفة ، فلم يكن فيها ينظر إلى كل ثورة على حدة ، ولكنه كان يعتبرها ثورة تتكامل مع الثورات الأخرى في العالم العربي ، لتعيد إلى هذه الأمة مجدها ووحدتها القديمة مما يؤكد وحدة الثقافة والمصير العربي .

وقد عاش شعراء الكويت فكرة الحلم العربي مرتبطاً بالواقع الراهن ، ويظل المكان لصيقاً بالحلم لديهم ، لأنه ـ أي حلم ـ يتشكل في المكان ، وإن كان يدور في مخيلة الشاعر ، إلا أنه يتأثر بالموروث من مفردات مكتوبة ومرئية ، محسوسة ومخيلة .

والتجربة السياسية للمبدع ـ والشاعر على وجه الخصوص ـ تأخذ رمزها من خلال المكان ، الذي يمثل شاهداً على العزة أو الهوان ، وهذا ما يجعل تحليل الحرية السياسية في الشعر عميق الارتباط بالمكان . يقول الشاعر (أحمد السقاف) في قصيدته التي بعنوان (قرطبة)[١٢] .

فـؤادي تمـزق يـا قرطبـة ونفـسي مجهـدة متعبـة
فـلا تعـدليني إذا مـا كبـا خيـالي ، وخـانتني الموهبـة
فقـد يقتـل الحـزن وحـي الفنـون فـلا الـصيت يجـدي ، ولا التجربـة

إلى أن يقول ، وكأنه يقف على الأطلال بأسلوب عصري ، تختلف فيه الزواية التي

(١٢) راجع : نوريه الرومي : دلالة المكان في شعر أحمد السقاف : دراسة تحليلية ، حوليات آداب جامعة عين شمس ، المجلد ٣٠ ، ص ٥٠ وما بعدها ، يوليه ـ سبتمبر ، القاهرة : ٢٠٠٢م .

رصد منها تجربته :

نـزلت الرصافة ، ياللعذاب !! فهـــاجت أســـاطيره المـــسهبة

يطـــل علـــى جنـــة ، كلـــها خمـــائل مزهـــرة ، مطربـــه

أنـــاجيه ولهـــان مثـــل المـــشوق يبـــث حبيبتـــه مطلبـــه

وأسألـــه عـــن زمـــان الجـــدود وعلـــم ، أنـــاروا لـــه موكبـــة

يـــشع علـــى عـــالم خامـــل يعـــانى الجهالـــة و المـــسغبة

ويتراءنى المجد العربي التليد للشاعر وتتداعى ذكريات التاريخ فيقول(السقاف) :

عدالتهم فـوق كـل النعوت وكانـــت لـــدى غيرهـــم مكذبـــة

وعمـــــرانهم في جـــــبين الخلـــــود تطـــوف بـــه أمـــم معجبـــة

فهـــل يـــذكر الغـــرب ذاك العطـــاء أم الحقـــــد ينـــــسيهم أغلبـــــه

فمـــا أجمـــل الـــصدق عنـــد الـــرواة ومـــا أطيـــب العـــدل!! مـــا أطيبـــه!!

ملكنـــا فكنـــا حـــديث الزمـــان وزلـــــنا ، وفـــــرقتنا المذنبـــــة

أعطى الشعر في الكويت للمكان دلالة الماضي والحاضر ، فجمع زمانين ، يعطيان أكثر من دلالة للمكان الذي يتناوله ، بما في ذلك الدلالة التاريخية والحضارية .

وتحتل المدينة المحاربة مكاناً طيباً في الشعر المعاصر في الكويت ، والتى تحظى بلواء البطولة دائماً ، وهى كذلك عند شاعرنا أحمد السقاف ، من خلال مجموعة من عناوين القصائد مثل : (ثورة الحجارة) التى مجد فيها ثورة الحجارة في الضفة الغربية و (لواء غزة)، وكذلك قصيدته (صنعاء) ، وقصيدته (عرين العروبة) ، وقصيدته في (مهرجان الجزائر) ، وقصيدته (تونس) .

ويقول (أحمد السقاف) من قصيدته " ثورة الحجارة "[١٣] :

ليس عندي كناية واستعارة فقريضي مستلهم من حجارة

هؤلاء الصغار قد أيقظوا الشعـ ـب ، وهاجوا إباءه واقتداره

(١٣) المرجع السابق.

إلى أن يقول :

لم يخافوا المنايا، وكيف يخشى المنايا من تحدى الردى، ليطلب ثأره!!

ثم يقول :

أخرجُونا من القنوط ، وأقسى ما نلاقى احتقار أهل الحقارة !!

لقد بدأ الشاعر ، مبتعداً عن الكناية والاستعارة ، رامزاً إلي ما سيدخل به إلى قصيدته، ثم دخل إلى العتاب الحزين ، وكأنه شعور شخصي ، ولكنه تفرع في مجرى القصيدة ، ومع تطورها ، ليصبح شعوراً موضوعياً ، بالمكان ، والزمان ، والموضوع . فالتجربة في هذه القصيدة مكانية وزمانية في آن ، إنها تجربة عامة وليست شعوراً شخصياً. تحمل طرفي المكان الليل والنهار ، الحركة والسكون ، واليأس والأمل . ولكنه لم يشأ أن يجعل اليأس طاغياً ، بل جاءنا بأمر طاغ ، هيمن على كل شئ يقول :

فاسلموا ، وارقبوا ، فعما قريب يقطف الجود بالنفوس انتصاره

إنه صوت التفاؤل ، المرتبط بالمكان . وهذه هي مذبحة (دير ياسين) التي هزت الشعور القومي من أقصى مكان إلي أقصى مكان ، قد استجابت لها طبيعة الشاعر وتكوينه، فصنع رحلة إلي هناك ، حاملا إمكانياته مع إمكانيات المكان وتداعياته حيث يقول :

يا ساكب الدمع آلاما وأحزانا أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا

قل لى بربك . . هل فارقتها لهبا وهل غدت لبنى صهيون ميدانا ؟

وكيف خلفت حيفا بعد نكبتها ؟ وهل مررت على عكا وبيسانا؟

ودير ياسين . . حدث عن فجيعتها ففي فجيعتها بعث لموتانا

إن الأماكن هنا تتمثل في : الضمير في (فارقتها) ، (حيفا) ، (عكا وبيسان) (دير ياسين) ، وقد ضمن المكان استدعاءات نفسية مثل سكب الدمع ورد الفعل : الآلام والأحزان ، ثم إضرام النيران التى كان صدى لما وجد عليه الشاعر ساكب الدمع، الذي يمثل الآخر المقيم، أما الشاعر فهو الأنا التي تنتقل من مكان إلى مكان يصاحبه شعوره ، الذي تترجمه عباراته ، ومجازاته ، وخيالاته البلاغية ، التي تنبع من ثقافته العربية وحسه القومي .إن مثل هذا النموذج يمكن أن نطلق عليه نموذج " الواقعية القومية " .

لقد كانت قصائد الواقعية القومية إفراز المناسبات ، ولكنها تميزت عن الشعر التقليدي في المناسبات بتعبيرها القوى عن شعور الانتماء ، فالشاعر طرف في المعركة ، واشتراكه بالشعر لا يقلل من إسهامه القومي في معركة لم يصفها من الخارج ، فقد تحدث مستخدما (الأنا) والآخر ، والنحن .

إن النموذج الباهر القديم لم يزل راسخاً في النفس العربية ، لا يتطلب إلا مادة مناسبة كي ينتفض حيا من جديد يقول السقاف :

خف الدخيل إليها وهى آمنة ... فراح يذبح أطفالا ونسوانا
رمى به الغرب في آفاته وزغاً ... وعله الشر حتى صار ثعباناً
أين المواثيق، والعهد الذي زعموا ... أينكب السلم أرض السلم عدوانا

إنه يحكى ، ثم لا يلبث أن يصيح من عدم عدالة مجلس الأمن :

الحق للمدفع القصاف ليس لمن ... يريد من مجلس التضليل إحساناً
يا أيها القوم . . هبوا . . ذا أوانكم ... عار عليكم إذا ما نمتمو الآنا
لموا الصفوف ، ونادوا كل منتسب ... إلى أمية أو عمرو وشيبانا
وجددوا العزم لاسترداد حقكم ... وزودوا النفس إقداماً وإيماناً

إنه التصاق الشاعر بالمكان ، انتماء إليه ، والدلالة هنا بين الفعل ورد الفعل . إن الفعل هو الاعتداء، ورد الفعل هو الدعوة إلى الانتقام ، حيث يكون السحق ، لأن الاعتداء محاولة لتشويه المكان، الذي يمثل الانتماء الوطني والقومي ، ويمثل أيضاً الذكريات والتاريخ والثقافة، وكلها تمثل الحياة ، امتدادا يخلق التفاعل والتطور والحضارة.

ثم يقول :

لا تحلفن بأسطول يدل به ... طاغ ، يجر إلى تابوته قدما
والحق أبلج، لو يبغون رؤيته ... هيهات يبصر من في ناظريه عمى
وصرخة الحق تأباها مسامعهم ... من يسمع الحق منهم يشتك الصمما

إن دلالة المكان هنا ترتبط بالموروث من الآثار الشعرية التراثية ، التي كانت تحفل بالحكمة ، وتجعل منها مضموناً دلاليا ، يأخذ بعضه بسياق بعض ليبنى الكل ، المحتوى ،

والمضمون . . ثم يتحرك قوميا فيخاطب القائد قائلا :

يا قائد العرب . . إن العرب قد نفرت إلى القتال ، تلبى القدس والحرما

فارفع لواءك منصورا ، فما عقمت عروبة ، أنجبت عمراً ومعتصما

وسر بها نحو مجد هزه خور فظن بعض الأعادي أنه انهدما

وتأتى الحكمة ، أو الخلاصة ، أو الدرس المستفاد فيقول :

حسب الفجيعة صبر غير محتمل قلوبنا منه تشكو الحزن والألما

ويتحدث عن " النحن " فيقول

وفى النفوس براكين مدمرة إن تنطلق تزرع الأهوال والنقما

ويخاطب الآخر ، القائد ، والمخلص فيقول :

فأنت في كل يوم باعث أملا وأنت في كل يوم شاحذ هممما

ويراوح في الخطاب بين (الهو) الغرب ، ويعود إلي العرب فيقول :

عجبت للغرب منحازا تسيره عصابة ، تتهادى للردى قدما

يرغى ويزبد ـ في غدر ـ كعادته لا بد للغدر من أن يحصد الندما

إنه يتحدث ، ويستطرد ، ثم يختم البيتين بإطناب بلاغي / تذييل يجرى مجرى المثل في قوله : لا بد للغدر من أن يحصد الندما ، إنه هنا يعود بنا إلي المكان القديم الجديد ، بدلالته اللغوية والبلاغية ، والأخلاقية عندما فيقول :

والعرب لا يحدون العرف . شيمتهم حفظ الصنيع لمن يوليهم النعما

ويستطرد قائلا :

ولن تدوم لصهيون دويلته وإن توعد بالعدوان أو هجما

وينتقل بالمكان إلي البعيد لتختلف الدلالة ، إنه يتحدث عن الكيان العالمي والموقف الدولي فيقول :

لا مجلس الأمن هزته فجيعتهم كلا ، ولا بؤسهم قد حرك الأمما

تأبى المروءة أن تحظى بوارفة من الحياة ، ثميت الروح والشيما

ولا يملك الإنسان إلا أن يهتز تشبثا بالمكان ، في دلالة قاطعة على أن المكان هو الحياة

يقول :

فكل شبر من الأوطان نغسله بألف نهر ، لدى الجلى تسيل دما

ويعود إلي المكان البؤرة . . الكويت فيقول :

أفدى الكويت ترابا ملؤه شمم وما تعشقت إلا العز والشمما

صددت عنها قريضى عاتبا زمنا والقلب فيها يعانى الوجد والسقما

حتى تبدت ، كما ترجو أصالتها بطولة ، تصفع التشكيك والتهما

ويعرج على قضية ترتبط بالمكان العربي العام . . الجزيرة العربية، وما يقال من أن النفط العربي يمكن أن يكون سلاحا قوياً لصالح العرب ، ولكن العرب يتخاذلون ـ أحيانا ـ أمام المصالح المادية . . يقول :

هي الكويت، محال أن يزيفها نفط تفنن في تزييفه القلما

وفى الكويت رجولات تفيض ندى لدى العطاء ، وترعى العهد والذمما

وفى الكويت أسود ثار ثائرها على العداة ، فطارت تدعم الهرما

ويورد الحكمة التراثية فيقول :

ولم أجد وثبة تسمو مكانتها كوثبة الحق، تروى الصارم الخذما

ولم أجد ساعة أدعى إلي كرم كساعة نحن فيها ، توجب الكرما

والمال . . ما المال؟ إن راحت مواطننا للأجنبي ، وأضحى قومنا خدما

والنفط . . ما النفط ؟ إن ضاعت كرامتنا فبالكرامة يحيا المرء محترما

ويختم القصيدة بقوله :

فبوركت دعوة للبذل ناجحة وبارك الله قوما في الندى قمما

وتظل دلالة المكان عند الشاعر (أحمد السقاف) وغيره من شعراء الكويت مرتكزة على محور رئيس ، هو المحور القومي، الذي لا يفتأ يذكره عند تناول مكان ما على خريطة الوطن العربي الكبير .

ويظل الخطاب السياسي مرتبطا بهذا المكان ، وإن تمحور في صورة هنا أو صورة أخرى هناك . إنه يطمح إلي تحقيق الوحدة العربية الشاملة، ولكنه يرى أنها بعيدة المنال .

والشاعر (محمد أحمد المشاري) يؤكد أن الوحدة العربية الشاملة هي الوضع الطبيعي ،

والأمل المنشود لشقيه وهى السور الواقي لأمته[١٤] .

لـيس العجيـب بنـا تحقيـق وحدتنـا ... لكـن تقـسيمنا هـذا هـو العجـب

فـنحن شـعب دمـاء العـرب تجمعـه ... والضاد والأصل والإحساس والنسب

. . . . . .

دم العروبـة يدعونـا ويجمعنـا ... وكلنـا لالتئـام الـشمل ظمـآن

مـن الكويـت إلـي تطـوان ألـسنة ... تدعـو وأفئـدة تهفـو وآذان

بوحـدة هـي مـأوانا وعـدتنا ... وهـى الـسلام إذا مـا كـر عـدوان

إن وحدة الشرق والغرب هى وحدة تاريخية ممتدة جذورها في أعماق التاريخ وما قدمنا إلاّ جزءا من هذه الوحدة . . في الشعر في الكويت ، إذ أن الوحدة العربية في ماضيها ، وحاضرها ، واستشراف مستقبلها يتمثل بألوان شتى في الشعر في الكويت تمثل ثقافة الشاعر ورؤيته السياسية والقومية العربية من ناحية ، وتؤكد على جذور الثقافة العربية المتلاحمة مجسدة معاناة الشعب العربي في بؤرة الجذور التاريخية العربية من ناحية أخري ، ولكن ضرورة الإيجاز في هذا البحث كما طلبت منا اضطرتنا للتدليل على جانب واحد من جوانب الإمدادات التاريخية لوحدة جذور الثقافة العربية وقد لخصها الشاعر (عبد المحسن الكاظمي) في قوله[١٥] :

أيهـا القـوم كلنـا اليـوم عـرب ... وإلى العـرب يطمـح العالمونـا

بعـضنا في الخطـوب عـون لـبعض ... إن أردنـا علـى الخطـوب مـضينا

ويدعو فهد العسكر إلى الوحدة القومية وافتداء الوطن العربي ، ونبذ الصراع المذهبي ، ويدعو إلي التآلف والإخاء بين أبناء مجتمعه ، ويدعو إلي الوحدة العربية لأنها هي السبيل للخلاص العربي على نحو ما يقول :

فلـم التخـاذل والعروبـة أمنـا ... ولم الـشقاق ونحـن مـن عدنـان؟

ولم التعـصب بالمـذاهب ـ يـابنى الأوطـان ـ وهـو أسـاس كـل هـوان ؟

فقلوبنـا لله والأجـسام للغـبراء ... والأرواح لـلأوطـان

(١٤) الكويت في قلب الثقافة العربية . إعداد مركز المعلومات والأبحاث ، اصدراً خاص لوكالة الأنباء الكويتية (كونا) بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية، ص ١٨٥ ، الكويت : ديسمبر، ٢٠٠١ .

(١٥) ديوان عبد المحسن الكاظمي، ط (١)، بغداد: ١٩٣٠ .

فتعاضـــدوا وتكـــاتفوا وتـــآلفوا وتـــساندوا كتـــساند البنيـــان

وتـــآمروا بـــالبر والتقـــوى ولا تتآمـــروا بالإثـــم والعـــدوان

كان ولا يزال الشعر العربي في الكويت ينبض بالجذور التاريخية العربية ، ويترنم بها في سيمفونية تعزف على أنغام وحدة الثقافة العربية .

obeikandl.com